أضواء على خطة الكتابة على عهد الموحدين

أ/ بغداد غربي، جامعة الشلف

تعتبر الدولة الموحدية في بلاد المغرب الإسلامي من أهم الكيانات السياسية التي بسطت نفوذها على هذه المنطقة، وإذا كانت الدراسات المتعلقة بتاريخ هذه الدولة من الناحية السياسية مستفيضة، وتكاد تحيط بهذا المجال من كل جوانبه، فان الاعتناء بالمجالات الحضارية لتاريخ المغرب بصفة عامة والموحدين بصفة خاصة لا تزال بكرا، وقليلة كذلك، وذلك نظرا لحداثة الباحثين عهدا بها، وقلة المادة التاريخية المحفزة على خوض البحث في هذا الجانب من تاريخ المغرب الإسلامي من ناحية أخرى.

ومن ثمّ؛ جاء هذا المقال ليتناول جانبا مهما من الجوانب الحضارية على عهد الموحدين، ألا وهو جانب النظم الإدارية، محاولة لتسليط الضوء على نظام حساس ومهم من النظم الإدارية ألا وهو نظام الكتابة والدواوين، ويراد بالكتابة هنا؛ الكتابة الرسمية الصادرة عن السلطان إلى مختلف الجهات في الداخل والخارج، دون الحديث عن الكتابات الأدبية والمراسلات غير الرسمية.

سنحاول في هذا الموضوع ضبط مصطلح الكتابة من الناحية اللغوية والاصطلاحية، كما سنبيّن مدى أهمية خطة الكتابة بصفة عامة، وعند الموحدين بصفة خاصة، مع التطرق إلى الشروط التي يجب توفرها في الكاتب، وأنواع كتّاب الدولة، مع ذكر اختصاصاتهم والأعمال المنوطة بهم مضافة إلى مهمة الكتابة والترسل. كما سنسلط الضوء في هذا المقال المتواضع على الوضعية المادية والاجتماعية التي كان يحظى بها الكتّاب، وذلك كله بالاستناد على الإشارات القليلة المتناثرة في ثنايا المصادر باختلاف أنواعها، إذ أن الموضوع لم تخصص له دراسات مفصلة في حدود علمي.

أولا: تحديد المصطلح

الكتابة في اللغة: مصدر كتب الشيء يكتبه كتبا وكتابا وكتابة، وكتّبه بمعنى خطه. والكتاب اسم لما كتب مجموعا. وهو مصدر، والكتابة لمن تكون له صناعة مثل الصياغة والخياطة[1]. وتعني الكتابة الجمع، يقال تكتب القوم إذا اجتمعوا، ومنه قيل لجماعة الخيل كتيبة، كما سمي الخط كتابة لجمع الحروف بعضها إلى بعض[2].كما للكتابة معان أخرى ؛كالعلم[3]، والحكم[4].

أمّا في الاصطلاح: فيراد بها كل ما رجع من صناعة الكتابة إلى تأليف الكلام وترتيب المعاني من المكاتبات، والولايات، والمسامحات، والاطلاقات، ومناشير الاقطاعات، والهدن والأمانات والأيمان، وما في معنى ذلك؛ ككتابة الحكم وغيره[5] . فبذلك تكون كتابة الإنشاء مختصة بكل ما ينشئه الكاتب المختص بالخليفة والسلطان على اختلاف مواضيع ما يكتب عنه.

وسميت الكتابة بكتابة الإنشاء من باب التخصيص لها بالإضافة إلى الإنشاء الذي هو أصل موضوعها، وهو مصدر انشأ الشيء إذا ابتدأه وخلقه، وذلك أنّ الكاتب يخترع ما يؤلفه من الكلام ويبتكره من المعاني فيما يعمل على كتابته من المكاتبات والمراسلات، هذا بالإضافة إلى أنّ هذه المكاتبات تنشأ عنه ابتداء[6]. وبذلك تكون كتابة الإنشاء أو الكتابة الديوانية خارجة عن الأصناف الأخرى للكتابة التي يقسمها النويري إلى خمسة أصناف، فيجعلها بالإضافة إلى كتابة الإنشاء؛ كتابة ديوان وتصرف، وكتابة حكم وشروط، وكتابة نسخ، وكتابة تعليم، وكتابة شُرطة[7] .

ويطلق مصطلح النثر الديواني على كتابة الإنشاء، وهو كلام فني يشمل رسائل الحرب والسلم والمعاهدات والمسامحات والمراسيم والمواثيق الإدارية والمالية، وما يجري بين الملوك والأمراء والوزراء والولاة وقادة الجيش من مكاتبات تتناول التهنئة بالنصر، وتقليد المناصب، وما يتعلق بحاجات الناس ومصالحهم الدينية والدنيوية[1].

ثانيا: أهمية خطة الكتابة وشروط اختيار الكتّاب.

تعتبر الكتابة الديوانية أو كتابة الإنشاء من أهم الخطط في مجال النظم الإدارية، وفي هذا السياق وبيانا لأهمية هذه الخطة يقول ابن خلدون: " .. إن أحوال السلطان وتصرفاته لا تعدوا أربعة، لأنّها إما أن تكون في أمور حماية الكافة وأسبابها.. وصاحب هذا هو الوزير، وإما أن تكون في أمور مخاطباته لمن بعد عنه في المكان أو في الزمان، وتنفيذ الأوامر فيمن هو محجوب عنه، وصاحب هذا هو الكاتب"[2] ثم ذكر بعد ذلك الحاجب وصاحب المجابي.

وحيث أنّ هذه الخطة من الأهمية بمكان في سلم إدارة الدولة تم الاعتناء بها وبمتوليها من طرف أرباب هذه الصنعة، وذلك بتدوين العديد من المصنفات[3] التي تطرقت إلى التعريف بها وبيان أهميتها، وتعديد شروط من يتولاها، مع بيان أنواع الكتابات الديوانية ومراسيم كتابتها، وما إلى ذلك مما يتعلق بهذه المهنة الشريفة، فأصبحت هذه المصنفات بمثابة دساتير تقرر أصول هذا الفن، وترشد الكتّاب إلى أقوم السبل التي ينتهجونها لأداء مهمتهم على أحسن وجه.

لذلك نرى مسارعة الخلفاء إلى اتخاذ كتّاب في أغلب أحوالهم، حتى قبل استواء هذا الخليفة أو ذاك على عرش الخلافة. فقد اتخذ المهدي بن تومرت داعية الموحدين منذ ابتداء أمره كتّابا لمراسلاته ومخاطباته[4]، ودلت النصوص على اغتمام الخليفة عبد المؤمن بن علي لوفاة كاتب سره اغتماما كبيرا لمكانته منه[5] بل إننا نجد بعض الثائرين قد اتخذوا كتّابا لمراسلاتهم قبل السيطرة على مقاليد الحكم[6].

إن هذه الإشارات – على قلتها - تدل على أهمية هذه الخطة عند الموحدين ومكانة الكاتب في الإدارة الموحدية، وتتجسد تلك الأهمية في ذلك العدد الوفير من أعلام الكتابة والترسل، وأئمة البلاغة والأدب الذين خدموا البلاط الموحدي[7] إضافة إلى ما خلفوه من زخم هائل من أنواع الرسائل الديوانية[8] التي أنشأها كتّاب الخلفاء وأمرائهم على الأمصار.

ونظرا لسمو مرتبة الكتابة كان صاحبها لا يتخير إلا من أرفع طبقات الناس وأهل المروءة والحشمة منهم، وزيادة العلم، وعارضة البلاغة، ولذلك ذهب القلقشندي وغيره، إلى تخصيص جزء مهم في مصنفاتهم لشروط اختيار الكتّاب، وما يتوجب توفره فيهم من ثقافة وآداب[9].

وتعتبر رسالة عبد الحميد بن يحيى الكاتب[10] التي كتبها إلى الكتّاب من أهم الدساتير التي تناولت الصفات العلمية والذاتية والأخلاقية التي يجب أن يتمتع بها الكاتب، ليظل في مستوى مهنة الكتابة الشريفة التي يمارسها، حتى أصبحت هذه الرسالة بمثابة القانون المضبوط، والدستور الثابت الذي سار عليه الكتّاب في المشرق والمغرب وفي جميع العصور، بل إن القوانين التي قننها كبار الكتّاب في مصنفاتهم لم تكن إلا شرحا وتفصيلا لهذه الرسالة.

والخلفاء الموحدون كغيرهم من ملوك المغرب حشدوا أقطاب الكتّاب المجدين وأرباب البلاغة حفاظا على ديوان الكتابة بمستواه الرفيع، كيف لا وقد غلبت على معظم الخلفاء نزعة علمية كان لها الأثر الكبير في

حياة الخلافة طول أيامها؛ من تقريب ورعاية للعلماء والمفكرين، ونظرا لذلك؛ عمل الخلفاء على انتقاء الكتّاب واختيارهم، وتوخّوا فيهم الخبرة الإدارية من ناحية، بالإضافة إلى ثقافتهم الواسعة من خلال تصدرهم لمختلف الفنون وإتقانهم لأنواع العلوم[1].

وإن لم تتوفر لدينا عن هذه الفترة مصادر متخصّصة حول ما يتعلق بالكتّاب وثقافتهم وصفاتهم؛ إلا أننا نلمس - من خلال استقرائنا لتراجم كبار كتّاب الإنشاء الذين خدموا سلاطين الموحدين وولاتهم - أن أغلب هؤلاء الكتّاب توفروا على الشروط التي اشترطها أرباب هذه الصنعة في مصنفاتهم وموسوعاتهم كالقلقشندى والنويري وعبد الحميد الكاتب قبلهما، إذ جمع أغلبهم بين الإحاطة بعلوم الشرع والتفنن في الآداب، بل كان أغلب هؤلاء الكتّاب أهل حديث وفقه قبل أن يكونوا أهل أدب[2].

ومن أشهر هؤلاء الكتّاب أبي جعفر أحمد بن عطية القضاعي، فلقد كان من كبار الكتّاب والأدباء أيام المرابطين بليغا في كتابته، سهل المأخذ، منقاد القريحة، سيّال الطبع، وكان سبب تقريبه واستكتابه من طرف الخليفة عبد المؤمن بن علي رسالته التي كتب بها إليه عن القائد أبي حفص قائد الجند لما انتصر على الماسي الثائر، وكانت رسالة أجاد في أكثرها، وهي تنم عن قدرته الأدبية والبلاغية، " فلما وصلت هذه الرسالة وقرئت في مجلس الخليفة....استحسنها الخليفة لما فيها من وصف الحال بغاية الإبداع وأنها أخذت من الفصاحة والبلاغة والتشبيه الغريب بالقلوب والأسماء، وأجمع البلغاء على إبداعها غاية الإبداع"[3]، ولذلك قربه عبد المؤمن واستكتبه وزاده إلى الكتابة الوزارة بعد أن وصل كتابه إليه ورأى من بلاغته وفصاحته ما ذكرنا ولما وجد فيه من "شجاعة قلبه وحصافة عقله"[4]، بالإضافة إلى خبرته الإدارية لما مارسه من الكتابة عن أمراء المرابطين.

ولم ينفرد ابن عطية بهذه المزية من الفصاحة والبلاغة، فلقد كانت صفة أغلب كتّاب الموحدين، وذلك ما نلمسه في القصيدة التي ألقاها الكاتب ابن عياش مخاطبا العرب يستعجلهم فيها ويسترحلهم للجهاد إلى الأندلس على لسان الخليفة أبي يعقوب يوسف بقوله

أقيموا إلى العلياء عوج الرّواحل وقودوا إلى الهيجاء جرد الصّواهلِ

وقوموا لنصر الدين قومة ثائر وشدّوا على الأعداء شدّة صائلِ[5]

وهي قصيدة طويلة تدل على عظم بلاغة هذا الكاتب وسعة علمه باللغة وأساليبها.

كما وصف ابن الأبّار عبد الرحمن بن يخلفتن الفازازي الكاتب بقوله: "...كان عالما بالأدب ومتصرفا في الفنون، كاتبا بليغا، شاعرا مجودا، وافر المادة، قوي العارضة، مشاركا في أصول الفقه، ذا معرفة بعلم الكلام، ناظرا في الفقه"[6]، وقد وصف أبو الحسن الرعيني الكاتب سرعة بديهة أبي زيد الفازازي هذا بقوله: "شاهدته مرارا ينظم القصيدة من أربعين بيتا إلى سبعين، فيكتبها في قرطاس كأنما هو لها ناقل لا قائل، وراسم لا ناظم"[7].

ولم تقتصر صفات الكتّاب على التبحر في علوم اللغة فحسب، بل كانت معارفهم تشمل مختلف العلوم، فهذا الرحّالة ابن جبير الكناني الذي يعد من أعلام كتّاب الأندلس في العصر الموحدي؛ إذ على الرغم من بروزه في الكتابة والنظم؛ حيث كتب في شبيبته للسّيد أبي سعيد عثمان بن عبد المؤمن خلال ولايته على سبتة، واشتهر برحلته المعروفة باسمه، وكان بالإضافة إلى ذلك بارعا في القراءات والحديث، ذو علم واسع باللغة والأدب والفقه، وله قدرة على نظم الشعر[8].

كما يصف لنا صاحب الإحاطة الكاتب محمد بن إبراهيم بن خيرة بقوله: "كان كاتبا بليغا، وشاعرا مجيدا...وكان حسن الخط رائقه...له تصانيف تاريخية وأدبية، منها، ريحان الآداب وريعان الشباب لا نظير له، والوشاح المفصل، وهو كتاب في الأمثال السائرة، وكتاب في الأدب نحا فيه منحى أبي عمرو بن عبد البر في بهجة المجالس[شه بر].

وهذا الكاتب أبو إسحاق ابن فرقد، كاتب أبي سعيد والي غرناطة، يصفه ابن الأبّار بقوله: "...وأخذ عنه -أي عن شيخه أبي عمر بن ميمون - الصحيحين وكان يعلوا فيهما... وغلب عليه الأدب، وعلم الفرائض وله في ذلك أرجوزة أخذت عنه، وولي منصب القضاء [له بر].

و كتب للخليفة المأمون الكاتب والأديب الهيثم بن أحمد؛ الذي يصفه ابن سعيد بقوله: "حافظ اشبيلية، لم ألق بها أحفظ منه، ومن أعجب عجائبه كان يملي على شخص شعرا، وعلى ثان موشحة، وعلى ثالث زجلا، وكل ذلك ارتجالا دون توقف"[بر]، وقد ترجم له المقّري في النفح[بر]

كما نجد الخليفة الرشيد الموحدي (640/630هـ) يستكتب الكاتب علي بن محمد بن الحسن الأنصاري الأشبيلي، الذي يصفه ابن عبد الملك بقوله: "كان أديب النفس، كاتبا بليغا، شاعرا مجيدا، رقيق الغزل، بارع المنازع، فائق النظم والنثر، مبرزا في فهم المعاني، نحويا ماهرا، ذاكرا للّغات والآداب، من أبرع من رأيته خطا، وكان قد شرع في الجمع بين تفسيري الزمخشري وابن عطية، ورجز الأحكام في معجزة النبي عليه الصلاة والسلام، لأبي الحسن بن القطان، وله منظومات كثيرة في مقاصد شتى ورسائل متنوعة، وكل ذلك شاهد تبريزه، وجودة مآخذه"[لج تر]

واستكتب السيد أبو الربيع سليمان الموحدي الكاتب علي بن إبراهيم الأنصاري البلنسي[تر]، الذي ذكر له المراكشي مجموعة من المصنفات التي توحي بسعة علمه منها: "اختصار العقد الفريد"، وكتاب "مشاهير الموشحين بالأندلس"، وهم عشرون رجلا ذكرهم بمحاسنهم وحلاهم على طريقة الفتح في المطمح والقلائد، وابن بسام في الذخيرة، كما ذكر له صاحب التكملة كتابا على الكامل للمبرد، وذكر كتابته لعدة من الولاة الموحدين [تر].

ومن الكتّاب المشهورين بسعة الثقافة الكاتب عامر بن هشام الأسدي، الذي يصفه صاحب الذيل بقوله: "وكان أديبا شاعرا، كاتبا بارعا، كتب عن أبي محمد بن أبي حفص وغيره ...وكان قد اختصه كثيرا وحظي عنده"، وذكر له مصنفات عديدة في فنون شتى منها "المخصص في شرح غريب الملخص"، و"مثبط العجلان ومنشط الكسلان" وهما في الأدب، وكتاب "المقصورة" وهي مجموعة من القصائد نظمها وقسمها إلى ثلاث أقسام، الأول خاص بالزهد وتأنيب النفس، والثاني في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم "بني الإسلام على خمس"، والثالث في شكوى الزمان و ما مني به من بعض الحسدة الخوان، وتأبين مصطنعه السيد أبا الربيع لمّا توفي، وعدتها مئة وخمسة وستون بيتا، و مما ذكر له صاحب الذيل من شعره:

إنّا إلى الله من دنيا مضت وقضت ولم أبت وجلا من خشية الله

تُري البطالة في ميدانها بطلا مني وأنسى أن ألهو مع اللاهي

ومما يقول في آخرها:

يا رب إن فئت عن شيب قد أكرهني عسى قبول متابي بعد إكراه.

كما وصف ابن عبد الملك شعره بالكثير الجيد وقال: "له مخاطبات مع شعراء وأدباء وقته تشهد بمتانة أدبه وبراعته" [1].

ويعد الكاتب أبو المطرف ابن عميرة المخزومي [2]، من أعظم كتّاب المغرب والأندلس الذين خدموا وقتا غير يسير في البلاط الموحدي الذين امتازوا بالتبحر في العلوم وكل أنواع الفنون والآداب، كتب عن جملة من الولاة "إذ استهل كتابته عن والي بلنسية محمد بن أبي حفص سنة 608هـ، ثم كتب عن والي إشبيلية السيد أبا العلاء الكبير سنة 617هـ، وفي سنة 620هـ عاد إلى بلنسية وكتب عن السيد أبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن عمر بن عبد المؤمن إلى غاية سنة 626هـ، كما كتب لغير هؤلاء" [3]، كما كتب بعد ذلك للخليفة الموحدي الرشيد الذي أعجب ببلاغته فاستكتبه لذلك، يصفه الغبريني بقوله: "الشيخ الفقيه المجيد المجتهد العالم الجليل الفاضل المتقن المتفنن أعلم العلماء وتاج الأدباء...وفاق الناس بلاغة وأربى على ما قبله" [4]، كما وصفه ابن سعيد بقوله: "هو الآن عظيم الأندلس في الكتابة في فنون من العلوم" [5]، وقد ترجم له صاحب الإحاطة بقوله: "...قد كان نسيج وحده إدراكا وتفننا، بصيرا بالعلوم، محدثا مكثرا، راوية ثبتا، مستبحرا في التاريخ والأخبار، دينا، مضطلعا بالأصلين، قائما على العربية"، كما وصفه بقوله "ثاني بديع الزمان في رونق الكلام ولطف المأخذ، وتبريز النثر على النظم، والقصور في السلطانيات" [6].

له عدة مصنفات في علوم شتى تصدق ما ذكره مترجموه، قال عنها الغبريني: "وما رأيت من كتاب ما أعجبني مثل كتب الفقيه أبي المطرف إلا كتب أبي جعفر بن عطية" [7]، ومما خلفه في التاريخ كتاب كائنة ميورقة، و تغلب العدو عليها [8]، وقد ذكره بن عبد الملك في الذيل [9]، كما ذكر له صاحب الإحاطة كتابا في التاريخ كذلك بعنوان " الاقتضاب من تاريخ المريدين" [10] وهو اختصار لكتاب ثورة المريدين الذي ألّفه ابن صاحب الصلاة (صاحب المن بالإمامة)، ومما خلّفه من الكتب الدينية مجموعة من المواعظ والزهديات، إذ يقول ابن عبد الملك: "وله فصول وعظية على طريقة الإمام أبي الفرج بن الجوزي" [11]، وكتاب في التعليق على "معالم أصول الفقه" للرازي، وهو عبارة عن جواب لسؤال سائل، "كما كان الطلبة يتلقون عنه تلحيقات السهروردي، وهي من مغلقات أصول الفقه عند طائفة ممن لم يمارس علم الأصول، ولا يتعرض لإقرائها إلا من له ذهن ثاقب" [12].

ومن الكتّاب الذين اشتهروا في بلاط الموحدين بتولي وظيفة كتابة الإنشاء وكانوا بالإضافة إلى ذلك من أعلام المؤرخين ابن صاحب الصلاة، فقد ألّف كتابا حول تاريخ الدولة الموحدية سماه "المن بالإمامة" وهو كتاب مشهور، إضافة إلى كتاب حول "ثورة المردين" كما يذكر ذلك عن نفسه في المن، وكان بالإضافة إلى ذلك من أبرز الكتّاب الموحدين [13].

وقد كان أديبا كاتبا محسنا، عني بحفظ التواريخ وتقيدها [14]، وكذلك ابن القطان صاحب كتاب "نظم الجمان"، فقد كان بالإضافة إلى براعته في الكتابة التاريخية رئيس كتّاب الإنشاء عند الموحدين، ومكنه ذلك من إطلاع على الوثائق الرسمية المتواجدة في الديوان ونقل منها مجموعة في كتابه المذكور [15].

كما يعتبر الكاتب محمد بن الأبّار القضاعي من أعظم من خدم الموحدين وغيرهم من ملوك المغرب بالكتابة عنهم، وكان بالإضافة إلى ذلك من أهل التبحر في شتى العلوم والفنون، حيث يصفه ابن سعيد بقوله: "ورأيته فاضلا في النظم والنثر والتاريخ وملح الآداب" [16]، ويصفه الغبريني بقوله: "الفقيه المحدث المقرئ الأديب النحوي المجيد اللغوي الكاتب البارع التاريخي، له نزعات في الأدب بارعة مستحسنة" [17]، وخلف مصنفات

كثيرة منها كتاب "التكملة لكتاب الصلة"، و"الحلة السيراء"، وكتاب "إعتاب الكتّاب"، وهي كتب ألّفها في التراجم لرجال الأدب وغيرهم، كما له في التاريخ كتاب "المعجم في أصحاب أبي علي الصدفي"، ويعد من أبرز كتّاب الدولة الموحدية؛ إذ كتب للسيد أبي زيد والي بلنسية، كما كتب عن الرئيس أبي جميل الزيان ابن مردنيش بعدما اضطرمت الثورة في بلنسية، وكان سفيره إلى الأمير الحفصي يستصرخه لإنقاذ بلنسية من أيدي النصارى، فكان مما خاطبه به قصيدته السينية الرائعة التي يقول في مطلعها:

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا إن السبيل إلى منجاتها درسا

و هي قصيدة عظيمة لو لم يخلف ابن الأبّار غيرها لكانت دليلا على كفاءته الأدبية والعلمية.

ولو تتبعنا تراجم الكتّاب الموحدين وإحصاء ثقافتهم وقدراتهم العلمية والأدبية لوجدناها تستوفي كل الشروط التي سطرها أرباب صنعة الكتابة كالقلقشندى والنويري؛ من العلم بالوحيين الكتاب والسنة، والإلمام بالفقه، والتبحر في علوم اللغة والأدب، والبراعة في قرض الشعر، ناهيك عن العلوم العقلية من المنطق والفلسفة، إضافة إلى تضلع بعضهم في علم الطب والفلسفة [لج سم].

ونظرا لأهمية هذه الطبقة في الإدارة الموحدية، وما تملكه من ثقافة واسعة كانت لها الصدارة في توجيه طبقة الحفاظ التي أنشأها الموحدون، فهذا الخليفة عبد المؤمن يأمر هذه الطبقة "بالتزام أشياخ البلاد من الفقهاء والكتّاب والشعراء ومذاكرتهم وملازمتهم" [□سم]، ولم يكن هذا إلا لعلمه وثقته بثقافة هؤلاء الكتّاب الواسعة، وتيقنه من تبحرهم في أنواع العلوم والفنون، كما كان بعض الكتّاب يتولى بالإضافة إلى الكتابة عن الخلفاء تعليم وتأديب أبناء الخلفاء [برسم].

I. أنواع الكتّاب في الإدارة الموحدية.

عرف الموحدون نوعين من الكتّاب الرسميين المندرجين في خطة الكتابة والمتولين للكتابة الديوانية السلطانية، كتّاب الإنشاء؛ يتولون كتابة المراسيم السلطانية، والرسائل الموجهة إلى الولاة والقضاة وسائر موظفي الدولة وحتى العامة داخل المملكة، وكذا تحرير الرسائل المتعلقة بتنظيم علاقات الدولة الخارجية، وإلى جانب هؤلاء هناك كتّاب الجيش - يعرف في الأندلس باسم كاتب الجهبذة [ترسم]، حيث يختصون بتقييد الجند ونفقاتهم و إحصاء الأسلحة [برسم].

أطلقت ألقاب عدة على كتّاب الرسائل؛ ككاتب الإنشاء [سمسم]، وكاتب السّر [شمسم]، وكاتب التدبير [لمسم]، ورئيس الكتّاب [□سم]، وصاحب الكتابة العليا [□سم]، وصاحب القلم الأعلى [لجشم]، وعلى الرغم من هذا الخلاف في نعت كاتب الرسائل؛ فإن المقري يجزم بعدم تسمية الموظف المتولي لشؤون الكتابة عن الخليفة بغير اسم الكاتب، "وبهذه السمة يخصه من يعظمه في رسالة" [□شم].

أما تعيين الكتّاب فلقد كانت من خصائص الخلفاء أنفسهم؛ إذ توخوا في اختيار كتّابهم توفرهم على الخبرة الإدارية [برشم]، بالإضافة إلى توفرهم على مستوى علمي وأدبي رفيع، لذلك كانوا يحشدون في بلاطهم أقطاب الكتّاب المجدين، ويتخذون لكتابتهم أبلغ أدباء العصر، حتى في أواخر عهد الدولة نجد الخلفاء الموحدين حريصين على الاحتفاظ لديوان الكتابة والرسائل بمستواه الرفيع الذي بلغه منذ الخليفة الأول عبد المؤمن بن علي [ترشم].

غير أن المصادر تشح علينا بما يتعلق بمراسيم ذلك التعيين كما هو الحال بالنسبة لتنصيب الولاة والقضاة؛ إذ كان يوصف بدقة وإسهاب، إلا أنّه من الملاحظ عند استقراء تراجم الكتّاب الموحدين نجدهم كانوا يتدرجون في المناصب قبل الوصول إلى منصب رئيس كتّاب الإنشاء في عاصمة الخلافة مراكش [1].

لقد اتخذ كاتب الإنشاء في حضرة السلطان مساعدون يعملون تحت أمره، ويساعدونه في إنشاء الرسائل وتدوينها، ويعملون على تحرير الرسائل عند غيابه أو انشغاله بأمور أخرى[2]، وبالإضافة إلى ذلك؛ اختص الكاتب ببعض الأعمال مضافة إلى وظيفة الكتابة؛ كرفع قصائد الشعراء إلى الخليفة، والعمل على تنظيم الوفود عليه، وخص ابن خلدون هذا العمل بالوزير فقال: "واختاروا -أي الموحدين - اسم الوزير لمن يحجب السلطان في مجلسه، ويقف بالوفود والداخلين على السلطان عند الحدود في تحيتهم وخطابهم، والآداب التي تلزم في الكون بين يديه"[3]، ويبدو أن هذه الأعمال التي اختص بها الوزير في بداية الدولة أصبحت من اختصاص كاتب الإنشاء، فقد ذكر ابن صاحب الصلاة أنه رفع شعرا إلى الخليفة، وكان الذي أوصله إليه هو الكاتب أبو الحسن بن عياش [4].

تجدر الإشارة إلى اتخاذ ولاة الأقاليم كتّابا كذلك؛ إذ كان السادة من أبناء الخليفة وإخوته يستخدمون في حكوماتهم المحلية أكابر كتّاب الأندلس جريا على سنة بلاط مراكش، حيث اعتبر الكاتب عند الوالي أو السيد من أقرب المساعدين والمقربين، حيث اختص الوالي بكاتب أو مجموعة من الكتّاب يعملون على خدمته والكتابة عنه[5]، واختلف عددهم في بلاط الوالي حسب حاجة الإدارة إلى ذلك، وممن اشتهر من ولاة الموحدين بكثرة الكتّاب في حضرته السيد أبا سعيد عثمان بن عبد المؤمن الذي يصفه المراكشي بقوله: "...واجتمع له من وجوه الشعراء وأعيان الكتّاب عصابة ما علمتها اجتمعت لملك منهم بعده"[6]، إلا أن هؤلاء الكتّاب كانوا يعينون من طرف الخليفة، ولا سلطة للسيد في ذلك؛ إذ كانت سلطة الأسياد وغيرهم من العمال محدودة وخاصة في بداية الدولة وقوتها [7].

ومن الملاحظ أن طريقة تعيين الكتّاب لم تبق على ذلك النمط من تحكم الإدارة المركزية في تعيينهم وغيرهم من الموظفين كالوزير والحاجب، ويدل ذلك على ما فرضه الشيخ عبد الواحد الحفصي على الخليفة الناصر الموحدي (595/610هـ) من شروط لقبول ولايته على إفريقية؛ إذ اشترط عليه حرية التصرف في اختيار الكاتب والوزير والقاضي ورؤساء الجند [8].

وبالإضافة إلى وظيفة الكتابة؛ اختص كاتب الوالي أحيانا بالجمع بين الكتابة والوزارة، وذلك ما نراه في أواخر العهد الموحدي؛ إذ نجد السيد أبا زيد بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن والي بلنسية، يستخدم لوزارته وكتابته كاتبا من أعظم كتّاب الأندلس وشعرائها ألا وهو ابن الأبّار القضاعي [9].

لقد كان كتّاب الجهات يخضعون لمراقبة الخلفاء ومحاسبتهم، ومن ذلك ما فعله الناصر الموحدي سنة 604هـ، حين استدعى العمال والكتّاب لمحاسبتهم، كما كان يشرف عليهم في أعمالهم كتّاب الخلفاء، إذ كان تحت نظر الكاتبين أبي محمد عبد الله بن يحيى، وأبي عبد الله بن الكاتب اللذين عينهما المنصور لمحاسبة عامل إشبيلية، من كتّاب الجهات نحو خمسين كاتبا [10].

هذا بالنسبة لكتّاب الإنشاء، أما النوع الثاني من الكتاب في ديوان الدولة الموحدية فهو كاتب الجيش، إذ نرى منذ بداية عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن تتحدد اختصاصات الكتّاب، فنجد شؤون الجيش توكل إلى ديوانين أو وزارتين يشرف عليهما نوعين من الكتّاب [11]، أحدهما خاص بديوان العسكرية ويسمى

كاتب ديوان العسكرية، وهو مختص بالجند النظامي؛ حيث يعمل على إحصاء الجند من ناحية العدد، وكذا معرفة حاجات الجند المتعددة من أمور السلاح والنفقات وغير ذلك[٣٣]، بالإضافة إلى إسناد محاسبة العمال وأصحاب الأشغال على الجهات إلى هذا الكاتب أحيانا[٣٤]، كما كانت تسند إليه مهمة تقييد أموال المخزن، وإحصاء أموال الزكاة والفرائض المختلفة على الأموال، ومن ذلك؛ ما قام به الكاتب أبو الحسن الهوزني من الإشراف على كتابة المجابي وهو رئيس كتّاب العسكرية [٣٥].

والكاتب الآخر خاص بديوان التمييز[٣٦] ويسمى متوليه كاتب ديوان التمييز، ويتمثل اختصاص كاتب هذا الديوان في إيراد نفقات الجيش، وتقسيم الأعطيات والبركات على كل من ثبت اسمه في زمام[٣٧] الجيوش والجند الذين قام بإحصائهم كاتب العسكرية، وكان صاحب ديوان التمييز قبل إنفاذ البركات يعرض زمام التمييز الجديد على الزمام القديم الذي قبله من أجل المقارنة ثم ينفّذ بعد ذلك الأعطيات بأمر الخليفة[٣٨].

ولم يتحمل كتّاب الجيش هذه الأعباء بمفردهم، فقد كان في ديوان الجند كاتب أو أكثر يعملون على مساعدة كاتبي العسكرية والتمييز، فيكون بذلك على رأس هذين الديوانين وزيرين؛ هما كاتب العسكرية وكاتب التمييز، ومعهما مساعدون يختصون بالكتابة في ذلك[٣٩].

II. مهام الكتّاب واختصاصاتهم:

لم يقتصر عمل الكاتب الرئيسي على تحرير الرسائل المتسمة بالبلاغة الفائقة فحسب، بل كان يعمل على استقبال الرسائل الواردة إلى السلطان، فيعمل على قراءتها عليه واستشارته حول نوع الرد عليها، هذا مع إشراف الكاتب الرئيس على مراقبة صغار الكتاب في الديوان والإشراف عليهم في كاتباتهم الثانوية التي يقومون بها [٤٠].

إلا أن شخصية الكاتب الفريدة من خلال ما تحمله من ثقافة واسعة، وسعة علم بالتدابير السياسية، و خبرة في إدارة شؤون المؤسسات تعددت اختصاصاته وتنوعت مهامه، مضافة إلى عمله الرئيسي من تحرير الرسائل وإنشاء المخاطبات الرسمية، ومن تلك المهام المضافة اليه مع مهمة الكتابة:

اولا: تولي منصب الوزارة مضافة إلى الكتابة،

حيث اعتلى الكاتب في بداية الدولة الموحدية منصب الوزارة، ولم يكن هذا من بدع الموحدين في نظم الإدارة والحكم، فقلد لزم لقب الوزير عند بعض الدويلات في المغرب وغيره الكاتب المتولي لرئاسة ديون الإنشاء [٤١]، وهذا التداخل بين الوزارة والكتابة نجده في بداية الدولة الموحدية، وبالأخص في عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي المؤسس الفعلي للدولة وإدارتها، ويعود ذلك إلى أن الدولة في بداية نشأتها لم تتخذ الرتب والألقاب ولم يكن ذلك إلا بعد استقرارها، وهذا ما وصفه ابن خلدون بقوله: "دولة الموحدين في بداية أمرها لم يكن عندهم من الرتب غير الوزير، فكانوا أولا يخصون بهذا الاسم الكاتب المتصرف المشارك للسلطان في خاص أمره كابن عطية، وعبد السلام الكومي، وكان له مع ذلك النظر في الأشغال المالية" [٤٢].

وأول الكتّاب الذين شغلوا منصبي الوزارة والكتابة؛ الكاتب الشهير أبو جعفر أحمد بن عطية القضاعي[٤٣]، فهو معدود في الكتّاب والوزراء[٤٤]، ولم ينفرد ابن عطية بتولي منصبي الوزارة والكتابة، فإننا نجد في أواخر العهد الموحدي السيد أبا زيد بن محمد بن عبد المؤمن والي بلنسية يستخدم لوزارته وكتابته كاتبا من أعظم كتّاب الأندلس وشعرائها ألا وهو ابن الأبّار القضاعي [٤٥].

فكانت خصائصه التزام الخليفة ومشاورته في أمور السلطان وكل ما يتعلق بأعباء الوزارة، هذا بالإضافة إلى القيام بأعمال الكاتب من تحرير الرسائل، وقراءة الوارد منها على الخليفة وغيرها من أعمال الكتابة، غير أن الوزارة في هذه المرحلة تعتبر مجرد وزارة تنفيذ[1]، دون أن يكون للكاتب استقلال بالقرارات، فلم يكن للوزير أو الكاتب نفوذ سياسي كما كان في كثير من الممالك، إلا ما كانا يبديانه من المشاورات في شؤون الدولة العامة بصفتهم طرفي نقاش.

ثانيا:القيام بمراسيم تولية العهد

إذ كان من اختصاصات الكتّاب الموحدين كتابة نص البيعة، ثم إلقائها على الوفود المبايعة، وكان لهذه المبايعة صيغة خاصة يلقيها الكاتب من على المنبر[2].

ثالثا: التحقيق مع العمال :

فلقد كان الخليفة يوكل أحيانا مسألة التحقيق مع بعض الولاة والعمال على الأقاليم إذا بلغه عنهم سوء تصرفهم، أو ظلمهم للرعية، أو تبذيرهم لأموال الدولة والإسراف في إنفاقها، يكل ذلك إلى بعض الكتّاب للتحري في المسألة ومحاسبة هذا الوالي أو العامل على ذلك، ومن ذلك، ما عمله الخليفة يوسف بن عبد المؤمن من تعيين الكاتب أبي عبد الله ابن محسن أحد كتّاب العسكرية مع بعض الموظفين لمحاسبة ابن المعلم[3]، كما نجد الخليفة المنصور قد وكل إلى بعض كتّابه محاسبة عامل إشبيلية داوود ابن أبي داوود، وذلك لما بلغه من ظلمه وجوره ما يستوجب ذلك، "... فأبرز لمحاسبته أبا محمد ابن يحيى، وأبا عبد الله ابن الكاتب، وكان تحت نظرهما من كتّاب الجهات نحو خمسين كاتبا، وأقاموا في نسخ وتقييد، وتبييض وتسويد، وإكباب على بحث وتنقيب، وتصديق بعض وتكذيب"[4].

رابعا: الإشراف على الأعمال العسكرية، والشؤون المالية

فإضافة إلى ما كان ينوط بالكاتب من وظائف في مجال القلم والكتابة، كان يتولى أحيانا قيادة بعض الأعمال العسكرية، أو مرافقة بعض القادة الكبار أثناءها، ومن ذلك ما حدث مع ابن عطية الكاتب على عهد الخليفة عبد المؤمن لما خرج عليه أخوي المهدي بن تومرت وتمردا عن طاعته، فنجده قد أوكل قيادة الجيش إلى الوزير الكاتب أبي جعفر ابن عطية [5]. ومن أعمال ابن عطية العسكرية كذلك، مرافقته للسيد أبي يعقوب يوسف إلى اشبيلية بعد هزيمة الاذفونش [6] من قبل السيّد أبي سعيد والي غرناطة، وذلك لكتابة عهد الأمان للنصارى بألميرية [7].

كما يعلمنا ابن عذارى كذلك عند حديثه عن خبر حركة الخليفة السعيد(640/646هـ) ومسيره إلى قتال الأمير أبي يحيى وبني مرين، عن مرافقة كتابه له في هذه الغزوة، "إذ حضر معه في هذه الحركة كتّابه الجلة؛ أبو الحسن الرعيني، وأبو زكريا الفازازي، وأبو عبد الله التلمساني"[8].

هذا بالإضافة إلى تولي بعض كبار الكتّاب الإشراف على الشؤون المالية للدولة، وخاصة هؤلاء الذين تميزوا بخبرة إدارية في مجال الحساب والتقييد، ولذلك نجد أغلب الكتّاب الذين تولوا الإشراف على الأمور المالية من كتّاب الجيش - الذين هم كتّاب حساب بالدرجة الأولى، ومن بين الكتّاب البارزين الذين تولوا هذا المنصب أبو عبد الله بن منيع؛ يقول ابن عذاري في معرض الحديث عن تعيين الخليفة الناصر للولاة ومساعديهم على الأمصار: "وقدم الكاتبين النبيهين؛ أبا محمد الحسن، وأبا عبد الله بن منيع، وكلاهما فيما انفردا به من الإحسان وصنعة الإنشاء والديوان فرسا رهان، ومالكا راية الإتقان والبيان، واقتصر أبو محمد بن الحسن على

كتب التوقيعات والظهائر وكل ما ترتب عليه العلامة من وجوه الأوامر، وانفرد أبو عبد الله بن منيع ؛ وهو الكاتب المختص بديوان العسكر، وما انضاف إليه من التنفيذات السلطانية، وتقييد الجزيات العامة في أنواع النفقات"[شه].

كما يزودنا ابن صاحب الصلاة بنص يدل صراحة على تولي الكتّاب الإشراف على الأعمال المخزنية وتقييد الأموال إذ يقول: "فوصلها -أي قرطبة - أبو إسحاق براز بن محمد المسوفي بالأمر العزيز، واستقر داخلها، واستدعى الكتّاب والمشارف من إشبيلية وأنظارها، فبادر إليه أبو القاسم ابن عساكر، وأبو بكر المراني..ومعهم من الكتّاب جماعة كبيرة مشهورة من أعيان إشبيلية وأعيان جهاتها، وكنت -أي ابن صاحب الصلاة - في جملة من كتب من الكتّاب، وعيّن للإشتغال بذلك الباب، فاستعفيت وقنعت والتزم غيري ممن كتب تقييد أموال المخزن بها وبأنظارها، وبالبلاد المفتتحة المرتجعة من أيدي المنافقين، وبضم بالزكوات والفرائض المفروضات، فقربهم عند وصولهم إليه وأدناهم ... واستعملهم على الأشغال وولاهم ... وتلاحق الناس والكتّاب لهذه الآمال، وشغلوا بالتصرف في تلك الأعمال" [له].

فالنص صريح الدلالة على أن الكتّاب الذين استدعوا كانوا يمارسون في إشبيلية تقييد الأعمال الخاصة بالمخزن، وإحصاء أموال الزكاة والفرائض المختلفة على الأموال، وعلى رأسهم الكاتب العسكري المشهور أبو القاسم بن عساكر؛ إذ يذكره ابن صاحب الصلاة من بين كتّاب ديوان التمييز والعسكرية [].

وصاحب الشغل هذا الذي ذكره ابن صاحب الصلاة هو غير صاحب العمل والمشرف[]؛ ونظرا لإسناد هذه الوظيفة إلى الكتّاب العسكريين دون غيرهم من كتّاب الإنشاء يجعلنا نفترض أن كاتب العسكرية كانت يسند إليه -بالإضافة إلى أعماله المتعلقة بالجيش - تقييد الأمور المالية، وإن كان كذلك، فيكون كاتب العسكرية مشرفا على ديوانين مهمين هما ديوان العسكرية، وديوان الأموال والنفقات.

خامسا: الخطابة بين يدي الخليفة:

نظرا لفصاحة الكتّاب وبلاغة أسلوبهم، كان يستعملهم الخلفاء أحيانا كخطباء بين أيديهم، ويباهون بهم وبشعرهم وفصاحتهم، ويزينون بهم حضرتهم السلطانية، هذا بالإضافة إلى اختصاصهم بوظيفة الكتابة، فنجد مثلا الكاتب عبد الله بن جبل[لج]، الذي كان يقف مع بعض الخطباء ويكتب بين يدي الخليفة ويبدي ما جادت به قريحته من فصاحة وقرض للشعر[لج].

سادسا: الإشراف على خطة المظالم:

لقد كان مركز الكاتب يتيح له أيضا الجلوس مع الخليفة على منصة القضاء، وينظر في الدعاوى ويوقع على القصص ويختمها بخاتم الخليفة، فأصبحت بذلك من الأعمال الجليلة المنوطة بالكاتب، خاصة وأن هؤلاء الكتّاب كانوا يتولون منصب القضاء قبل تولي خطة الكتابة أو بعد صرفهم عنها.

يصف لنا القلقشندي نظام المحكمة بالمغرب في عهد الموحدين بقوله: "...جرت عادة من له ظلامة أن يرتقب السلطان في موكبه -يعني يوم جلوسه للمظالم - فإذا إجتاز به السلطان صاح بعد لا إله إلا الله أنصرني نصرك الله، فتأخذ قصته وتدفع لكاتب السر، فإذا عاد جلس في قبة معينة لجلوسه، ويجلس معه أكابر أشياخه مقلدين السيوف، ويقف من دونهم على بعد، مصطفين متكئين على سيوفهم، ويقرأ كاتب السر قصص أصحاب المظالم وغيرها فينظر فيها بما يراه" [برلج].

فكان رئيس الكتاب، الذي يسميه صاحب النص؛ كاتب السر، أحد أعضاء جلسة المظالم، هذه الأخيرة التي يشترط فيها الماوردي خمسة أعضاء من الحاكم، والفقهاء للتشاور معهم، والشهود الذين يشهدون التقاضي ويصدقون عدل القاضي، وعصبة القوة، لمنع أخذ المتظلم حقه بالقوة والعنف، والكاتب خامسهم [ترلج]. ولم يكن الكاتب المختص بجلسة المظالم مجرد كاتب نسخ وتدوين، بل كان كاتب السر ورئيس ديوان الإنشاء، وهو الذي يتلقى قصص المظالم، ويقرؤها على الخليفة، حتى إذا أصدر فيها الخليفة حكمه وقّع عليها الكاتب توقيعه بأمر من الخليفة. ومن بين أشهر الكتّاب الذين تولّوا هذه الخطة الكاتب القاضي أحمد بن يزيد بن عبد الرحمان، "فقد تولى قضاء جماعة بمراكش مضافا إلى ذلك خطتي المظالم والكتابة العليا" [برلج]. كما يذكر ابن عذارى أن كتاب الإنشاء يشرفون على كتب التوقيعات وكل ما ترتب عليه وقوع العلامة من وجوه الأوامر [سملج].

III. رواتب الكتّاب وحالتهم المادية والاجتماعية:

لقد تعددت أوجه الإنفاق في الدولة الموحدية على مختلف المؤسسات المدنية منها والعسكرية و تنوعت، إلا أنه يمكن حصر هذه النفقات؛ فيما كانت تنفقه الدولة على الجيش من مصاريف التجهيز وشراء وسائل القتال وغيره، وكذلك نفقات البناء والتعمير، كما كانت لها نفقات في مجال المنح والهدايا التي كان يبذلها الخلفاء الموحدون لمختلف الجهات الداخلية منها والخارجية؛ وذلك لأسباب اقتضتها سياسة البلاد ومصالح العباد، وهناك نوع رابع من هذه النفقات؛ يتمثل في المرتبات التي كانت تبذلها الدولة لمختلف العمال على اختلاف طبقاتهم و مراتبهم [شملج].

تعتبر المرتبات والأرزاق على الوزراء والقضاة والكتّاب والطلبة والفقهاء ثاني وجه من أوجه الإنفاق من بيت المال الموحدي، فقد ذكر صاحب المعجب أنّ ابن طفيل طبيب الخليفة يوسف بن عبد المؤمن كان يأخذ جامكية - أي مرتباً - مع غيره من موظفي الدولة وعمالها [برلج].

ولم تكن المرتبات على عهد يوسف فقط بل كان الخليفة عبد المؤمن يوزع الأرزاق والمرتبات على العمال والأجناد، ويشرف على ذلك بنفسه، فقد روى ابن صاحب الصلاة أن الكاتب أبا عبد الله بن محسن كاتب ديوان التمييز ومنفذ البركات للموحدين ولسائر الناس من الأجناد والمرتزقين، دخل على أمير المؤمنين بتلخيص زمام تمييز العساكر وفيه زيادة كثيرة على ما تقدم "فقال لي رضي الله عنه: نفذ لهم البركة على ذلك، إنما غرضنا الإحسان إلى الأجناد وأن تظهر عليهم الخيرات والبركات" [لج]؛ والبركات هنا بمعنى المرتبات وهي بهذا الاسم الجوامك عند المصريين.

كما كانت البركات عند الموحدين تقسم أربع مرات في السنة، إذ كان الموكل بذلك يعمل على تقسيمها في عيد الفطر مرة، وفي الأضحى تفرقة أخرى كذلك، وفي شهر ربيع الأول تفرقة، وفي رجب التفرقة الرابعة، كل ذلك تحت إشراف الخليفة ونظره، وبالإضافة إلى هذه المرتبات كانت تقدم إلى المستحقين مواساة خارج نطاق الرواتب، وهي غلة تفرق عليهم عند تحصيل الغلّات والمحاصيل، وهناك الإحسان كذلك؛ وهو مبلغ من المال، وكل من المواساة والإحسان يفرق على العمال، والأجناد، ومختلف الموظفين مرة واحدة في السنة، ولا يضبطهما قدر معين، وإنما يكون قدر ذلك حسب ما يراه السلطان، وحسب أقدار الناس ومراتبهم [لج].

ويبدو أن طبقة الكتّاب ومن كان في مستواهم كانوا يتمتعون بامتيازات مالية عند الخلفاء الموحدين؛ فقد نال الناس في فترة الخليفة أبي يعقوب سعة في نمط معيشتهم وحالتهم المادية، فقد "نال الناس معه في إمارته

وبعد ذلك من جميع الطبقات من الكتّاب والعمال، والطلبة والقضاة والرعية، بصلاح أحوالهم، ونماء أموالهم"[لج□□]، وهذا يدل بوضوح على قيمة المرتبات والهبات التي كان يحظى بها المقربون من موظفي الدولة وعلى رأسهم وأقربهم من الخليفة الوزير والكاتب، ولذلك كان الكتّاب يسعون دائماً وراء الحصول على تولي خطة الكتابة، وذلك نظراً لما كانت توفره هذه المهنة من الثراء المادي، والنفوذ والجاه والسلطان[□□□].

هذا بالإضافة إلى تمتعه بمكانة اجتماعية عالية، وخاصة عند أهل الأندلس، فقد ذكر المقري في النفح عند حديثه عن الكتّاب الأندلسيين وطبقاتهم، أن كاتب الإنشاء كان يحظى بمكانة اجتماعية عالية إلى درجة أنه محط أنظار كل أفراد المجتمع، إذ كان يحاسبه هؤلاء الأفراد على كل تصرفاته الصغيرة منها والجليلة [بر□□].

واذا لم توفر لنا النصوص معلومات عن مرتب الكاتب بدقة فان تراجم الكتاب تفصح عن الحالة المادية والاجتماعية المعتبرة التي كان يتمتع بها هؤلاء، فهذا الكاتب محمد بن عبد العزيز بن عياش، كاتب الخليفة الناصر، يترجم له صاحب التكملة بقوله: "... وكان عالماً بها رئيساً في صناعة الكتابة... و استكتبه السلطان بالمغرب فنال دنيا عريضة" [تر□□]، كما كان الكاتب عبد الله بن جبل فقيهاً خطيباً مفوهاً و قد نال من خدمة السلطان دنيا عريضة [بر□□].

ولقد ترجم صاحب الذيل للكاتب الشهير أبي عبد الله محمد بن عياش، وذكر قصة له مع الكاتب أبي القاسم البلوي تدل على سعة جاهه ووفير ماله نوردها مع طولها نظرا أهميتها إذ يقول: "حدّث الشيخ أبو القاسم البلوي قال: كنت أخف إليه، و أشفع عنده في كبار المسائل فيسرع في قضائها. ولقد عرضت لبعض أصحابي من أهل بلاد الأندلس حاجة مهمة كبيرة، وجب علي السعي فيها، والتماس قضائها وفاءً لربها، ولم يكن لها إلا ما قدرته من حسن نظره فيها، ورجوته من جميع أثره في تيسير أمرها، وكان قد أصابه حينئذ التياث لزم من أجله داره، ودخلت عليه عائدا،ً فأطال السؤال عن حالي، وتبسط معي في الكلام، مبالغة في تأنيسي، فعجلت ذكر الحاجة ورغبت منه في الشفاعة عند السلطان في شأنها، وكان مضطجعاً، فاستوى جالساً وقال لي: جهل الناس قدري؟، وكررها ثلاثاً، في مثل هذا أشفع إلى أمير المؤمنين؟ هات الدواة والقرطاس، فناولته إياهما، فكتب برغبتي، ورفعه إلى السلطان فصرف في الحين معلماً، فاستدعاني، ودفعه إلي وقال: يا أبا القاسم، لا أرضى منك أن تحجم عني في التماس قضاء حاجة تعرضت لك خاصة وإن كانت لأحد من معارفك عامة، كبرت أو صغرت، فألتزم قضاءها، وعلي الوفاء، فإن لكل مكسب زكاة، وزكاة الجاه بذله"[سه□□].

وإن ما ذكره صاحب الإحاطة عن الكاتب أبي المطرف بن عميرة حول مسألة سلب أمواله إثر سفره من سبتة إلى مكناسة ليدل صراحة على ثراء هذه الشريحة بسبب خدمتها للخلفاء بالكتابة عنهم، فقد سلب منه وهو في طريقه إلى سبتة ما يعدل أربعة آلاف دينار عشرية، وفيها عين وورق وحلي[شه□□]. كما أن سفره هذا إلى المغرب، الذي سلب فيه ماله ومتاعه لم يكن إلا طلباً للجاه والثروة من خلال البحث عن وظيفة كاتب عند الخلفاء الموحدين [ب□□]، ولذلك نراه يندب حظه لما صرفه الخليفة الرشيد(640/630هـ) عن ديوان الكتابة إلى القضاء، وكتب إلى صديقه أبي الحسن الرعيني[□□□] في ذلك، شاكياً إليه مصابه في رسالة مذيلة بقصيدة طويلة تفيض بالحزن والأسى، وقد أجابه الرعيني برسالة يواسيه عن تأخيره عن الكتابة، وذكر خلالها أن الأطماع والرغبة في الثروة هي التي أغرت ابن عميرة بالهجرة إلى المغرب، ومما قاله فيها: "ولحا الله الأطماع،

فإنها تستدرج المرء وتستجره، وتستخرج حين تعرفه ما يسره، ما زالت تقتل في الذروة والذروة، وتختل في الجاه والثروة، حتى أنأت عن الأحباب والحبائب، ورمت بالغريب أقصى المغارب"□□□.

كما نجد الكاتب أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن أحد كتاب السيد أبي زيد لما كان والياً على غرناطة يقوم بإتمام بناء القنطرة التي بنيت على واد شنجيل بخارج غرناطة من صميم ماله بمبلغ قدره أربعة آلاف دينار، كما بنى مسجدا من ماله الخاص قبل ذلك، و ما ذلك إلا لثروته الوفيرة بسبب هذه الوظيفة□.

غير أن هذه الحفاوة والإكرام للكتّاب لم تكن سمة جميع الخلفاء، وفي كل الأزمان، إذ أن تقريب الكتّاب والشعراء والإغداق عليهم بالأموال والإجازات كان رهين الاستقرار السياسي للدولة، ولم يحظ الكتّاب بتلك الامتيازات في حال الاضطراب؛ إذ كان الخلفاء والولاة على الأمصار في تلك الحالات يصرفون اهتمامهم للجند والعناية به، ومثال ذلك ما حدث لابن عميرة الكاتب مع زيان بن مردنيش والي بلنسية لما جفاه ولم ينل عنده حظوة نظراً لاعتنائه بالجند، وذلك أن بلنسية كانت تعيش في هذه الفترة(628هـ) وما بعدها اضطرابات كبيرة، فقال ابن عميرة في ذلك:

هو ما علمت من الأمير فما الذي تزداد منه وفيه لا يرتـــاب

لا يتقي الأجناد في أيامه فقراً ولا يرجوا الغنى الكتّاب□

كما روى ابن الأبار حسب ما يورده ابن سعيد من أن زيان احتجم صبيحة بعض الجمع ووهب الحجّام مالاً فدفع إليه ابن عميرة شعراً يمدحه فلم يجزه، فكتب شعراً لطيفاً في ذلك ارتجالاً يقول فيه:

أرى من جاء بالمُوسى مُواسى و راحة من أراح المدح صفرا

فانجح سعي ذا إذ قصّ شَعراً وأخفق سعي ذا إذ قص شِعراً□

وعلى الرغم من هذه الإشارات حول وضعية الكتاب المادية والاجتماعية إلا أن المصادر لا تحدد لنا بشكل مضبوط رواتب هؤلاء الكتّاب وأعطياتهم، إلا ما تذكره من أنّ طبقة الكتّاب كانت تحظى برواتب مع باقي موظفي الدولة□، إما شهرياً حسب ما يورده ابن عذاري□، أو أربع مرات في السنة على حد قول القلقشندي□.

لقد كان الوزراء و الكتّاب ورجال الدولة في البلاط على اختلاف وظائفهم، والحشم وغيرهم من الشعراء و الأدباء و المقربون لهم جرايات ومرتبات يتقاضونها من خزينة الدولة، وإن ما يميز هذه المرتبات أنها كانت غير ثابتة القدر إذ كانت تزيد و تنقص، وكثيراً ما كانت تزيد في عهد الأمراء الأجواد□.

إن الإشارات القليلة حول خطة الكتابة ودواوين الدولة الموحدية لا تسعف الباحث لوضع صورة متكاملة ومتناسقة عن هذه الخطة وترتيباتها الإدارية، إلا أن الباحث والقاريء على حد سواء اذا ما نظر الى التوسع السياسي والعسكري للامبراطورية الموحدية وذلك التنسيق المحكم بين رجالاتها في الولايات والأمصار يستشف مدى تطور هذه الخطة ومدى اعتناء سلاطين الدولة بها، كما يدل على هذا الاعتناء ذلك الثبت الهائل للكتاب الذين خدموا البلاط الموحدي سواء في العاصمة او في الولايات، ويضاف الى ذلك كشاهد على تطور وتنظيم هذه الخطة ذلك الكم الهائل من الرسائل الديوانية التي خلفها كتاب الدولة الموحدية.

الهوامش:

[1] - ابن منظور الافريقي، ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرمة، لسان العرب، دار الفكر، بيروت، ط6، 1417هـ/1997م، ج1، ص: 697.

[2] - القلقشندي، ابو العباس احمد بن علي، صبح الاعشى في صناعة الانشا، الهيئة المصرية للكتاب، 1405هـ/1985م، ج1، ص: 51.

[3] - ابن الاثير، مجد الدين ابي السعدات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والاثر، تح: محمود الطناحي، دار احياء الكتب العربية، بيروت، ج6، ص: 1.

[4] - سميح عاطف الزين، تفسير مفردات الفاظ القران الكريم، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ط3، 1414هـ/1994م، ص: 735.

[5] - القلقشندي، المصدر السابق، ج1، ص: 54.

[6] -. ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص: 180. القلقشندي، ج1، ص: 53.

[7] - النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب، نهاية الارب في فنون الادب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ/ 2004م، ج7، ص: 5.

[8] - عبد القادر بن احمد الاطرش، النثر الديواني عند لسان الدين بن الخطيب، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1404هـ/1982م، ص: 128.

[9] - ابن خلدون، العبر، ج1، ص: 249.

[10] - ومن تلك المصنفات: ادب الكاتب لابن قتيبة(ت270هـ)، الوزراء والكتاب للجهشياري(ت331هـ)، ادب الكاتب للصولي(ت335هـ)، الكتاب لابن دستورية (ت 346هـ)، وكتاب الصناعتين الكتابة والشعر للعسكري (ت395هـ)، والاحكام السلطانية للماوردي (ت 450هـ)، وسراج الملوك للطرطوشي (ت 520هـ)، وقانون ديوان الرسائل لابن الصيرفي (ت550هـ)، وقوانين الدواوين لابن مماتي (ت606هـ)، ومعالم الكتابة لابن شيث القرشي (ت 625هـ)، والمثل السائر في ادب الكاتب والشاعر لابن الاثير (ت 637هـ)، وحسن التوسل في صناعة الترسل للحلبي (ت 725هـ)، والتعريف بالمصطلح الشريف للعمري (ت749)، ورونق التحبير في حكم السياسة والتدبير للعاملي، وموسوعة صبح الاعشى في صناعة الانشا للقلقشندي (ت 721هـ)، ونهاية الارب للنويري (ت 733هـ) وغيرها من المصنفات.

[11] - للقيام بتلك المراسلات اتخذ المهدي في بداية أمره كاتبين من أعضاء العشرة أهل الجماعة، أحدهما؛ أبو الربيع سليمان الحضرمي، الذي توفي في معركة البحيرة(524هـ)، والآخر؛ ملول بن إبراهيم بن يحيى الصنهاجي، الذي آخى المهدي بينه وبين قبيلة هرغة. البيدق، أبو بكر الصنهاجي، أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين، تح: ليفي بروفنسال، طبعة باريس، 1928م، ص: 33 ،39.

[12] - الغبريني، أبو العباس أحمد بن أحمد، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط3، 1981م، ص:83.

[13] - فهذا يحيى بن الناصر(624هـ/1226م) لما خرج على عمه الخليفة أبي العلاء المأمون ابن المنصور (624 - 630هـ/1226 -1232م) كتب يستجلب الناس لطاعته وقد اتخذ كاتبا اسمه أبا الحسن السرقسطي. ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تح: إبراهيم الكتاني، محمد بن تاويت الطنجي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب ط1، 1406هـ/1985م، ص:282

[14] - المراكشي، المصدر السابق ، ص:293.

[15] - كما هو في مجموع رسائل بروفنسال ومجموعة الرسائل الجديدة للعزاوي.

[16] - شروط الكاتب معددة في كل من: القلقشندي، صبح الاعشى، ج1، ص ص:61 -100. المرادي، أبو بكر محمد بن الحسن، الإشارة إلى أدب الإمارة، تح: رضوان السيد، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 1981 ص ص: 105 -108. العاملي، رونق التحبير في حكم السياسة والتدبير، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، تح: سليمان القرشي، ط1، 1424هـ/2004م ، ص:41، 42. المقري، أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1: 1419هـ/1998 م، ج1، ص: 280، 203 . النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهابة الأرب في معرفة فنون الأدب، مطابع كست تسوماس وشركائه، القاهرة، ج7، ص:32.

[17] - هوالكاتب الأموي الشهير: عبد الحميد بن يحيى بن سعد، ترجمته في: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص: 228.

[18] - محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ق2، عصر الموحدين، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية:1411/1990م، ص: 646. حسن علي حسن، المرجع السابق، ص: 114، 115.

[19] - محمد بن شريفة، أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي، حياته وآثاره، مطبعة الرسالة، الرباط، المغرب، دط، 1385هـ/1966م، ص: 181

[20] - البيان المغرب، قسم الموحدين ص: 32.

[21] - المراكشي ، المعجب، ص: 268.

[22] - ابن صاحب الصلاة، عبد الملك بن محمد بن أحمد الباجي، المن بالإمامة، تح: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 1987، ص: 111، 328.

[23] - ابن الأبّار، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار المعرفة الدار بيضاء، المغرب، دط، 1415هـ/1995م، ج3، ص: 47.

[24] - ابن عبد الملك ، أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي.، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة تح: محمد بن شريفة ، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط ،المغرب، 1984، ج8، ص: 267.

[25] - المقري، نفح الطيب، ج3، ص 143. عبد العزيز سالم، تاريخ والمؤرخين العرب، دار الكتاب العربي، للطباعة والنشر دط، 1997 ،ص:220. وله نماذج بديعة في نظم الشعر ذكر نبذا منها ابن الأبار في التكملة، ج3، ص: 98.

[26] - ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1424هـ /2003م، ج2، ص:223، 224.

[27] - ابن الأبار التكملة، ج1، ص: 131، 132.

[28] - ابن سعيد المغربي، علي بن موسى بن عبد الملك، المغرب في حلى المغرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ/1997م، ج1، ص: 190.

[29] - ج4، ص: 337.

[30] - ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، السفر الخامس، ص ص: 88 -101.

[31] - ابن عبد الملك، نفسه، السفر الخامس، ص: 188.

[32] - ابن الأبار، **التكملة**، ج3، ص: 212. و **المقتضب من كتاب تحفة القادم**، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط3، 1410هـ/1989م، ص: 51. ابن الزبير، أبي جعفر أحمد، **صلة الصلة**، تقديم بروفنسال، مكتبة خياط، بيروت، لبنان، ص:91.

[33] - ابن عبد الملك، **الذيل والتكملة**، ج5، ص ص: 106 -110

[34] - عن حياته بصفة تفصيلية انظر البحث الذي قام به محمد بن شريفة تحت عنوان "أبو المطرف ابن عميرة المخزومي، حياته وآثاره"

[35] - مقدمة كتاب **كائنة ميورقة** لهذا الكاتب بتحقيق: محمد بن معمر، منشورات الأديب، الجزائر، الطبعة الأولى: 2006، ص:7. وانظر المقال الذي نشره نفس المحقق: محمد بن معمر، نظرة في **مخطوط كائنة ميورقة**، مجلة التراث الإسلامي، دمشق، سورية، عدد: 98، جمادي الأولى 1426هـ/2005م.

[36] - الغبريني، أبو عباس أحمد بن أحمد، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق:رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الثانية، 1981م، ص: 250.

[37] - ابن سعيد المغربي، المغرب ج2، ص: 363

[38] - ابن الخطيب، الإحاطة ، ج1، ص: 63.

[39] - الغبريني، المصدر السابق، ص:251.

[40] - وهو مخطوط قام بتحقيقه مؤخرا أستاذنا الدكتور محمد بن معمر، في إطار تحقيق ونشر المخطوطات التي يعمل على فهرستها مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا، بجامعة وهران.

[41] - ابن عبد الملك، المصدر السابق، ج1، ص: 89.

[42] - ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص: 184.

[43] - ابن عبد الملك، المصدر السابق، ج1، ص: 85. محمد بن شريفة، المرجع السابق، ص: 300.

[44] - الغبريني، المصدر السابق، ص: 253

[45] - ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص: 159.

[46] - ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج5، ص: 32.

[47] - ابن القطان، نظم الجمان، مقدمة المحقق، ص: 47.

[48] - ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص: 309.

[49] - الغبريني، المصدر السابق، ص: 183.

[50] - مثل أبي بكر بن طفيل الذي خدم أمراء الموحدين وكتب عنهم. المراكشي، المعجب، ص ص: 311 -314.

[51] - ابن القطان، نظم الجمان، ص: 173.

[52] - ابن صاحب الصلاة في ترجمته، للكاتب أي العباس ابن سيد المالقي قوله:"..درس النحو و الأدب كثيرا، وكان شاعرا كاتبا بليغا، ...ثم صار إلى مراكش، فأدب بني عبد المؤمن " المن بالإمامة، ص:76

[53] - المقري، نفح الطيب، ج1، ص: 202، 203.

[54] - المراكشي، المعجب، ص: 269، 316، 317، 338، 391، 405. ابن عذاري، المصدر السابق، ص: 254.

[55] - المراكشي، المعجب، ص: 317. ومعنى كتابة الإنشاء أنها معرفة بالإضافة؛ أي بإضافة الكتابة إلى كلمة الإنشاء، وهي من مصدر أنشأ الشيء إذا ابتدأه واخترعه على غير مثال يحتذيه، ومعنى ذلك أن الكاتب يخترع ما يؤلفه من الكلام ويبتكره من المعاني فيما يكتبه، أو أنها نسبة إلى أن المكاتبات الرسمية تنشأ عنه ابتداء. القلقشندي، ج1، ص: 52.

[56] - الغبريني، المصدر السابق، ص: 83. كما نجد القلقشندي يعطيه نفس اللقب، صبح الاعشى، ج5، ص: 139. غير أن القلقشندي كما هو معروف كاتب مشرقي، وكثيراً ما يتحدث بمصطلحات المشارقة في هذا الباب، ومن ثم لا يمكن التعويل على تسميته للكاتب بهذا اللقب عند الموحدين بصفة قطعية.

[57] - العاملي، رونق التحبير، ص: 40. وربما يقصد بذلك تدبير شؤون السلطان الإدارية من تحرير الرسائل الرسمية والإشراف على دار الإنشاء وصغار الكتّاب، بل وحتى مشاركة السلطان في عظام المهمات ومشاورته في ذلك.

[58] - الذيل و التكملة، ج5، ص: 633. وهذه التسمية لا تحمل صبغة اصطلاحية للقب كاتب الخليفة بقدر ما توحي بوظيفته من خلال رئاسته لديوان الإنشاء ومن فيه من صغار الكتّاب، فدعت كثرة الكتّاب في حضرة الخليفة إلى تمييز كاتب الخليفة عن غيره من المساعدين بلقب رئيس الكتّاب.

[59] - التكملة، ج1، ص: 102، 103. وهي الكتابة عن السلطان مباشرة، أي أن صاحبها هو كاتب الخليفة ونديمه الذي يمتاز بمرافقته، فكتابته غير الكتابة التي يقوم بها صغار الكتّاب ولذلك ميزت كتابته عن غيرها بالكتابة العليا.

[60] - الإحاطة، ج4، ص: 3.

[61] - نفح الطيب، ج1، ص: 202، 203.

[62] - لذلك كان اغلب الكتاب في صدر الدولة ممن خدم المرابطين او الحماديين او خدم دويلات الطوائف. عز الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص: 163.

[63] - محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص: 622.

[64] - فمثلا نجد الكاتب ابن عبد ربه حفيد صاحب العقد الفريد، كان كاتبا مختصا بالوالي السيد أبي الربيع سليمان بن عبد الله الموحدي صاحب بجاية وسجلماسة، ثم أصبح كاتبا للخليفة أبي يعقوب المنصور الموحدي، كما كتب الطبيب المشهور أبو بكر ابن طفيل للسيد أبي سعيد والي غرناطة وكان من أهم وأبرز كتّابه، ثم أصبح من بين كتّاب الخليفة يوسف بن عبد المؤمن ورئيس أطبائه، كما نجد الكاتب أبا عبد الله ابن عيّاش قد كتب عن المنصور ثم ابنه الناصر فحفيده المستنصر، وكان يخدم قبل ذلك الرشيد أبا حفص بن يوسف بن عبد المؤمن، فلما سخط على الرشيد أخوه المنصور وضرب عنقه، طلب أصحابه، وكان ابن عياش في جملتهم فاختفى مدة وقاسى شدة وقال في ذلك أبياتا كانت سبب استكتاب المنصور له بعد أن وقف عليها وعفا عنه بسببها، ومن بين أبرز الأمثلة على تدرج الكتّاب للوصول إلى الحضرة كتابة ابن الأبار وزميله أبي المطرف ابن عميرة إذ كتبا لأبي زيد والي بلنسية، ثم كتبا بعد ذلك للخليفة الرشيد الموحدي. انظر: المراكشي، المعجب، ص: 375. ابن سعيد، المغرب، ج2، ص: 66، 67، 69 . محمد بن شريفة، المرجع السابق، ص: 87.

[65] - البيدق، المصدر السابق ،ص: 37. المراكشي، المعجب، ص: 296، 317. ابن سعيد، المغرب، ج2، ص: 156. ابن الأبّار، المقتضب من تحفة القادم، ص: 177. أحمد العزاوي، المرجع السابق،ج1، ص: 19.

[66] - ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص: 252.

[67] - ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص: 185. وأنظر حول تنظيم الكاتب لوفود الشعراء المراكشي، المعجب، ص: 387.

[68] - ومن بين من كتب للوالي لبي سعيد عثمان بن عبد المؤمن؛ أبو إسحاق بن فرقد، كما كتب له الرحالة الشهير ابن جبير الكناني، والكاتب أبو الحسن ابن الهردوس،كما استخدم لكتابته الكاتب والشاعر الكبير أحمد بن عبد الملك بن سعيد العنسي، واختص به كذلك الفيلسوف والأديب الكاتب أبو بكر ابن طفيل القيسي وكتب له وقتا، والكاتب أبو محمد عبد الغني بن طاهر والكاتب أبو بكر بن عبد الرحمان بن أبي الحسن بن مسعدة. انظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص: 191، 244. / ج2، ص: 146، 334. ابن الأبار، التكملة، ج2، ص: 131. /ج3، ص: 421. المقتضب، ص: 107، 125، 140. ابن سعيد، المغرب، ج2، ص: 89، ،185، 311. الحلل الموشية، ص 151. المقري، النفح، ج3، ص: 12. ابن إدريس، زاد المسافر وغرة محيّ الأدب السافر، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1980م، ص: 28. كما اختص السيد أبا حفص عمر بن عبد المؤمن، والي تلمسان بعض أعلام الكتّاب ومشاهيرهم، وعلى رأسهم الفقيه الكاتب أبو الحسن عبد الملك بن عياش ،كما كتب له أحد مشاهير الكتّاب وأحذقهم ألا وهو محمد ابن إبراهيم ابن خيرة، والكاتب أبو القاسم ابن المواعيني. التكملة، ج2، ص: 43 . الذيل والتكملة، ج5، ص: 642.

[69] - المراكشي، المعجب، ص: 293.

[70] - ابن عذاري، البيان، ص: 50، . 92، 93. الحلل الموشية، ص: 151. وروض القرطاس، ص: 194. الناصري، أبو عباس أحمد بن خالد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر ومحمد ابني المؤلف، دار الكتاب الدار البيضاء، المغرب، دط، 1955، ج2، ص: 123.

[71] - الزركشي، الأعلام، ص: 18.

[72] - محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ق2، ص: 642.

[73] - ابن عذاري، المصدر السابق، ص: 173، 217.

[74] - محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ق2، ص: 638.

[75] - عصمت دندش، المرجع السابق، ص :150.

[76] - ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص: 363.

[77] - ابن عذارى، البيان، ص: 170. ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص: 138، 139.

[78] - كثيرا ما تتردد كلمة التمييز في المصادر الموحدية وخاصة عند إقدام الجيش على المعارك، والتساؤل المتبادر هو هل هذا التمييز الذي كان يقوم به الجيش عند كل غزوة هو نفسه الذي أحدثه ابن تومرت في البداية، والذي قام به البشير الونشريسي إذ "كان يخرج المخالفين والمنافقين والخبثاء من الموحدين حتى امتاز الخبيث من الطيب...فمات يومئذ من الناس قتلا خمس قبائل"، البيدق، أخبار المهدي، ص: 59. أم أن هذا التمييز هو غير ذلك ؟. إننا نجد في المراجع التي تتحدث عن هذا التمييز بعض الاختلاف، إذ يرى البعض أنه نفس التمييز الذي أحدثه المهدي، ثم اتخذ عادة جرى عليها الموحدون منذ عهده، وكل من ميز وثبت توحيده عدّ موحدا، وسجل في سجل خاص في العاصمة والنواحي[1]، إلا أن النصوص الواردة في عملية التمييز العسكري توحي بخلاف ما قام به المهدي من " الميز"، وأنه لا علاقة له به، وإنما المقصود به اختيار الصفوة من الجند قبيل كل غزوة يقبل عليها الموحدون. أحمد العزاوي، المرجع السابق،ج2، ص: 232. وهو يقابل ما يسمى باستعراض الجيوش في المشرق. الحلل الموشية، ص: 131.

[79] - الزمام هو السجل الذي تدون فيه احصائيات الجند وغيرها في الديوان.

[80] - ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص: 347.

[81] - محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ق2، ص: 638.

[82] - القلقشندى، المصدر السابق، ج5، ص: 144.

[83] - كالعباسيين، والاخشيدين في المشرق. والمرابطين في المغرب. الحلل الموشية، ص: 78. وينظر أيضا: محمود مصطفى، الأدب العربي بمصر من الفتح إلى نهاية العصر الأيوبي، دار كتاب العربي للطباعة والنشر، دط، 1387هـ/ 1967م، ص: 133، 190. محمد رضوان الداية، الأدب الأندلسي والمغربي، مطبعة خالد بن الوليد، دمشق، سوريا، دط، 1400هـ/1980مـ، ص: 33

[84] - ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص: 253.

[85] - ترجمته في: ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص:127وما بعدها. الحلة السيراء، ج2، ص:194، 238. المقري، النفح، ج6، ص:154 ابن سعيد المغربي، المرقصات المطربات، ص:17. ابن الأبار، إعتاب الكتاب،ص: :225. ابن خلدون، العبر، ج6، ص:274.

[86] - المراكشي، المعجب ، ص: 266، 267.

[87] - محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ق2، ص: 396.

[88] - يقسم الماوردي الوزارة إلى قسمين؛ وزارة تنفيذ ووزارة تفويض، فاختص وزير التنفيذ بتنفيذ أوامر الخليفة الذي يشرف على جميع تصرفاته وأعماله، واختص وزير التفويض بتدبير شؤون الدولة تبعا لرأيه وسلطته بتفويض من الخليفة نظرا لنفوذه، الماوردي، المصدر السابق، ص ص: 22 -29.

[89] - تتمثل صيغة البيعة التي يلقيها الكاتب على الجموع في: "تبايعون أمير المؤمنين على ما بايع عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من السمع والطاعة في المنشط والمكره واليسر والعسر، والنصح له ولولاته وعامة المسلمين، هذا ما له عليكم، ولكم عليه ألّا يجمر بعوثكم وألا يدخر عنكم شيئا مما تعمكم مصلحته، وأن يعجل لكم عطائكم، وألا يحتجب عنكم، أعانكم الله على الوفاء، وأعانه على ما تقلد من أموركم"، وكانت هذه الصيغة نفسها التي عمل الكاتب أبو عبد الله بن عيّاش بها لما قام بمراسيم إلقاء مبايعة الخليفة أبي يعقوب يوسف ابن محمد المستنصر بالله . المراكشي، المعجب، ص: 407. ابن صاحب الصلاة، المن الإمامة، ص: 94، 95.

[90] - ابن المعلم، أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد، كان في فترة عبد المؤمن ومعظم أيام ابنه يوسف مشرفا على الأعمال بإشبيلية، إلى أن كانت سنة 573هـ فانتقم منه لما انتقد عليه من أخبار شنيعة وأحوال فضيعة، وأمر بسجنه وصودرت أمواله، وضرب بعد محنة طويلة عنقه. ابن عذاري، البيان المغرب، ص: 104. ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص: 310، 311، 320، 363.

[91] - ابن عذاري، البيان المغرب، ص:224، 225.

[92] - ابن عذاري، المصدر نفسه، ص: 51.

[93] - هوألفونسو السابع صاحب طليطلة عاصمة قشتالة، وهو الذي يحمل اسم روموندس، توفي في 13رجب 552هـ/21غشت1157م، حسب المصادر النصرانية، إثر اشتباك مع الموحدين تأثرا بجراحه. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، 1424هـ/2004م، ص: 331. يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1417هـ/1996م، ج1، ص: 231، 233، 258، 259.

[94] - ابن عذاري، المصدر السابق، ص: 56.

[95] - نفسه، ص: 371. وهؤلاء الكتاب الثلاثة يعدهم ابن عذاري في كتاب الجيش عند حديثه عن كتاب الخليفة السعيد.

[96] - ابن عذاري، البيان المغرب، ص: 254.

[97] - ابن صاحب، المن بالإمامة، ص: 138، 139.

[98] - ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص: 311.

[99] - عز الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص:167، 168.

[100] - أبو محمد عبد الله بن جبل، من أهل مدينة وهران من أعمال تلمسان، الفقيه الخطيب، صاحب أبي الحسن ابن الإشبيلي، يذكره ابن صاحب الصلاة من بين الكتّاب الموحدين، والمراكشي من قضاتهم، أنظر المن بالإمامة، ص:163. المعجب، ص: 229.

[101] - ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص: 95. ابن القطان، نظم الجمان، ص: 210، 212.

[102] - القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص:206.

[103] - الماوردي، المصدر السابق، ص:80.

[104] - ابن الأبار، التكملة، ج1، ص: 102، 103.

[105] - ابن عذارى، المصدر السابق، ص: 254.

[106] - حسن علي حسن، المرجع السابق، ص: 209.

[107] - المراكشي، المعجب، ص: 312. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص: 217.

[108] - ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص: 347.

[109] - القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص:141.

[110] - ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص: 168.

[111] - محمد بن شريفة، المرجع السابق، ص: 85.

[112] - المقري، نفح الطيب، ج1، ص: 179.

[113] - ابن الأبار، التكملة، ج2، ص: 166.

[114] - ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة،ص: 156. ابن الأبار، التكملة، ج2، ص: 304.

[115] - ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج6، ص: 384. ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص: 338.

[116] - ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص: 185.

[117] - ابن عبد الملك، المصدر نفسه، ج1، ص: 91.

[118] - ترجمته في: الإحاطة، ج4، ص: 139. الذيل والتكملة، ج8، ص ص: 12 -14.

[119] - محمد بن شريفة، المرجع السابق، ص: 125.

[120] - الإحاطة، ج3، ص ص: 159 -161.

[121] - المقري، المصدر السابق، ج1، ص: 295. محمد بن شريفة، المرجع السابق، ص: 95

[122] - المراكشي، المعجب، ص: 312. ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص: 217. محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ق2، ص: 646.

[123] - ابن عذاري، المصدر السابق، ص: 65.

[124] - القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص: 141.

[125] - يوسف أشباخ، المرجع السابق، ج2، ص: 249.